جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الصراع السياسي، والعاطفي في رواية "في قلبي أنثى عبرية"

- دراسة وصفية تحليلية -

إعداد

بشير Li Li

دكتوراه الأدب العربي كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
جمهورية مصر العربية

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الصراع السياسي، والعاطفي في رواية "في قلبي أنثى عبرية" – دراسة وصفية تحليلية –

بشير Li Li

دكتوراه الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: basherlili@gmail.com

الملخص:

تتعدد ألوان الصراع في رواية "في قلبي أنثى عبرية" للروائية التونسية خولة حمدي ما بين صراع سياسي، وصراع وجداني عاطفي، وصراع ديني. وقد جمعت الرواية وزاوجت بين اختلافات فكرية وعقائدية وجغرافية، كما ظهر التنوع بين شخصيات مختلفة: عقدياً، وفكرياً، وجغرافياً: مسلمون من لبنان، ومسيحيون من لبنان كذلك. ويهود من تونس ولبنان. ومسلمون من تونس وفرنسا "ندى– سونيا– تانيا– ريما– أحمد– جورج– حسان ...."**.** كما تتعدد الأماكن والأزمنة (حاضر وماض ومستقبل)، من قرى إلى بلدان، إلى قارات، وتنوعات عاطفية، بين حب وكره وغربة وانتماء. وبين قوة وضعف، بين حنين وقسوة، بين غيرة وتضحية. وبين ألم وأمل، وبين سلم وحرب وحرية، وسجن، بين صراعات الأديان وصراعات الأفكار ... حتى في بيت العائلة الواحدة، والملاحظ أن الرواية تبدأ بعرض حقيقة تاريخية، وهي انتماء اليهود إلى فضاء تونس والمغرب العربي، ثم نرى انتماء اليهود والمسيحيين والمسلمين في جنوب لبنان إلى مكان واحد، فالكل ينتمي إلى وطن واحد رغم اختلافهم، وتعاملهم مع بعض بطريقة متعصبة، وانتماء "ريما" إلى أسرة يهودية وهي المسلمة، وانتماء ندى إلى أمها اليهودية وأبيها المسلم، ثم زوج أمها المسيحي، وتعايشها مع ذلك بسلام داخلي، وقد أوردت المؤلفة في روايتها العديد من الأحداث الواقعية. وهذا ما يمكن أن ندركه في أدب الشرق الأوسط وتونس، فالتطرف الذي برز في بعض المجتمعات

مؤخراً هو وليد صراعات فكرية، قد تتواجد بين ديانات متعددة، كما قد تتولد بين أبناء الديانة الواحدة أحياناً، ولكن التعايش موجود، والأحداث التاريخية تضفي على الرواية سمة الواقعية. ومن ذلك؛ مجزرة قانا وكذلك القصف الذي شهده جنوب لبنان في فترات تاريخية محددة، وتحرير جنوب لبنان، وقد اتبعت المنهج الوصفي والتحليلي، والمنهج النفسي.

الكلمات المفتاحية: في قلبي أنثى عبرية، خولة حمدي، الصراع، اليهودية، ريما، ندى، جاكوب.

Political and emotional conflict in the novel "In My Heart is a Hebrew Woman" - A descriptive and analytical stud-

Bashir Li Li
PhD in Arabic Literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Arab Republic of Egypt.
Email: basherlili@gmail.com

Abstract:
The conflict in the novel "In My Heart is a Hebrew Woman" by Tunisian novelist "Khawla Hamdi" is multifaceted, between political conflict, emotional and psychological conflict, and religious conflict. The novel combined and combined intellectual, ideological and geographical differences, and diversity appeared among different characters: ideologically, intellectually and geographically : Muslims from Lebanon, and Christians from Lebanon as well. And Jews from Tunisia and Lebanon. And Muslims from Tunisia and France "Nada - Sonia - Tania - Rima - Ahmed - George - Hassan Places and times are also diverse (present, past and future), from villages to countries, to continents. - And emotional diversity, between love and hate, alienation and belonging. And between strength and weakness, between longing and cruelty, between jealousy and sacrifice. And between pain and hope, and between peace and war and freedom, and prison, Between religious conflicts and conflicts of ideas... even in the home of the same family. It is noteworthy that the novel begins by presenting a historical fact, which is the Jews' belonging to the space of Tunisia and the Arab Maghreb.Then we see the Jews, Christians and Muslims in southern Lebanon belonging to one place, as everyone belongs to one homeland despite their differences, and their dealings with each other in a fanatical manner, and "Rima's" belonging to a Jewish family while she is a Muslim, and Nada's belonging to her Jewish mother and her Muslim father, then her Christian stepfather, and her coexistence with

that in internal peace .The author included many real events in her novel. This is what we can realize in the literature of the Middle East and Tunisia, as the extremism that has emerged in some societies recently is the result of intellectual conflicts, which may exist between multiple religions, and may sometimes arise between the sons of the same religion... but coexistence exists.The historical events give the novel (In My Heart is a Hebrew Woman) a realistic feature. Among these are; the Qana massacre in 1996, as well as the bombing that southern Lebanon witnessed in specific historical periods, and the liberation of southern Lebanon. The research method used: is the descriptive and analytical method, and the psychological method.

Keywords: In my heart is a Hebrew woman, Khawla Hamdi, Conflict, Judaism, Rima, Nada, Jacob.

قد لقيت رواية "في قلبي أنثى عبرية" للكاتبة خولة حمدي اهتماماً كبيراً في أوساط القراء، كما راجت بصورة واسعة، حتى تخطت طبعاتها عشر طبعات خلال أقل من عامين؛ وقد صدرت الرواية عام ٢٠١٢م.

والسرد في الرواية يستمر خلال ثلاثة مسارات قصصية ترتبط بشخصيات الرواية الرئيسة، (أحمد، وندى، وريما)، فيوجهها أكثر من خط قصصي.

وتقدم هذه الرواية عرضاً تاريخياً عن قِدَم وجود اليهود في تونس، في جزيرة "جربة" تحديداً، والتي كانت تضم عائلات تجمع الديانات الثلاثة (الإسلام، والمسيحية، واليهودية)، ومنهم عائلة "جاكوب" الذي كان عليه القيام بتنفيذ الوصية التي تركتها له جارته المرأة المسلمة، والتي أوصته على ابنتها "ريما" ليعتني بها بعد وفاتها. فقد مات أبوها وعمرها خمس سنوات؛ واجتهدت أمها في البحث عن عمل يعينها على تربية ابنتها، فعملت مدبرة منزل لدى عائلة "جاكوب" الذي كان يعتبر ريما ابنة له، ثم توفيت أمها حين بلغت "ريما" تسع سنوات.

فنشأت ريما المسلمة في أحضان أسرة يهودية، يلتزم فيها الأب "جاكوب" بتربيتها على الطريقة الإسلامية، فكان يأخذها في يوم الجمعة إلى المسجد لكي تتعلم شئون دينها، ذلك على الرغم من معارضة زوجته اليهودية المحافظة "تانيا" والتي كانت دائماً حريصة على أسرتها اليهودية؛ وتظهر في الرواية شخصية "سالم" المسلم الذي يتم زواجه من امرأة يهودية تُسمى "سونيا"، والتي تزوجت مرة ثانية من "جورج" المسيحي الأرميني، لتأخذ معها ابنتيها "ندى ودانا" إلى جنوب لبنان.

وهكذا تتبين في الرواية المفارقة بين الآباء في مكانتهم والأبناء في المكانة الأخرى، فكان جاكوب اليهودي هو الأب لريما المسلمة، وكذلك جورج المسيحي هو الأب أيضاً لندى ودانا اليهودتين.

وهكذا تبدو فتيات تونس "دانا" و"ندى" اليهوديتان، و"ريما" المسلمة في عالم مليء بالصراع، بين الكفاح الإسلامي، والكيان الصهيوني وجنوب لبنان.

الروائية " خولة حمدي ":

خولة حمدي هي كاتبة وروائية تونسيّة، من مواليد ١٢ يوليو ١٩٨٤، ومن أشهر مؤلفاتها رواية "في قلبي أنثى عبرية".

وقد حققت خولة حمدي نجاحًا باهرًا وشهرة واسعة، وبرزت كروائية استثنائيّة مُتفرّدة، فقد صُنفت مؤلفاتها ضمن الكتب الأكثر مبيعًا في الشرق الأوسط.

وبدأت خولة حمدي رحلتها الأدبية بكتاب "أحلام الشباب" سنة ٢٠٠٦. وأصدرت بعدَ ٦ سنوات روايتها الورقية الأولى "في قلبي أنثى عبرية"، ثم كتاب "**غربة الياسمين**" في عام ٢٠١٥، تليها رواية "**أن تبقى**"، وأصدرت في عام ٢٠١٧ **رواية** "**أين المفرّ**"، يلي ذلك رواية "**أرني أنظر إليك**".

وينتمي أدب خولة حمدي إلى أدب القضايا الإنسانية، حيث تناقش فيه معاناة الشرقيين في الغرب، والهجرة غير الشرعية، واختلاف الأديان، بأسلوب واضح ولغة قوية وسهلة.

العنوان: "**في قلبي أنثى عبرية**":

إن تقديم الجار والمجرور (في قلبي) يحمل دلالة الاهتمام بالمتقدم، والقلب مكمن المشاعر والوجدان، والجملة الإسمية (متأخرة) من حيث الترتيب في الرتب المحفوظة في اللغة العربية، والأصل (أنثى عبرية في قلبي).

وجملة (في قلبي أنثى عبرية)، هذا العنوان الموحي يحمل بعداً أنثوياً واضحاً، دون انجراف للجانب الحسي في تصوير العلاقة العاطفية داخل الرواية؛ فأحمد حين يجد في نفسه ميولاً وتعلقاً بندى يشرع في خطبتها، وحين تتم الخطبة يحرص أن يكون هناك من يشاركهم المجلس، حتى لا تكون هناك خلوة.

اختيار لفظة (عبرية) دون (يهودية): فـ (العبرية هي اللغة وليست الديانة)، وهو ما يعكس نسقاً أيديولوجياً لدى شخصية الرواية الرئيسة "ندى"، أو مَن يحبها، لينصرف الذهن إلى الدولة التي تتحدث هذه اللغة.

وكأن الخلاف مع اللغة وليست الديانة، وأن البطلة (ندى) لم تعرف معنى الوطن؛ لأنها لم تكن تعيش فيه؛ إذ انتقلت من تونس لتعيش في لبنان مع أبيها الجديد "جورج"؛ فإنها ترفض الحركة السياسية (الصهيونية) التي لم تَرِد في عنوان الرواية بديلاً للفظة (عبرية).

وتعكس نصوص الرواية هذا المعنى، فـ "أحمد" المسلم يخطب "ندى" اليهودية، وسالم والد ندى المسلم كان متزوجاً من سونيا اليهودية، وجورج (الأرميني المسيحي) يتزوج منها بعد طلاقهما، وجاكوب يتكفل بتربية "ريما" المسلمة.

وهكذا تقدم الرواية تزاوجاً بين الديانات الثلاثة، بل نجد ندى اليهودية المتشددة التي تنتمي إلى أسرة محافظة تهتم بتطبيق الدين وإقامة شعائره، حين يستنكر أحمد مساعدتها له، حين قدم عليها مصاباً بجرح بليغ، تقول منزعجة:

«وما شأن ديانتي بالعمل الإنساني؟ ألا يحثك دينك على الرحمة والرأفة وتقديم يد المساعدة إلى من يحتاجها»[1].

فإن "ندى" بطلة الرواية تؤمن بديانتها (اليهودية) بتشدد، وتحفظ نصوص التوراة كاملة عن ظهر قلب، وتتمسك بتعاليم الدين اليهودي، حتى غطاء الرأس اليهودي. لكنها في الوقت نفسه لا تؤمن بتلك الأفعال التي تصدر عن تلك الدولة التي تتحدث تلك اللغة، فتؤكد من خلال صوت الراوي تعاطفها مع شباب

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، الهرم، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٣٢.

المقاومة البواسل واستهجانها للعدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان، والمجازر التي ارتكبها كمجزرة قانا.

فلا تزال ندى تذكر تلك الحادثة التي تركت في نفسها الشابة أعمق الأثر، وهي الفتاة اليهودية ذات الستة عشر عاماً. «أيقنت منذ ذلك الحين أن المقاومة لا تُلام على شيء مما تفعله لتحرير الأرض المغتصبة»(١).

الصـــراع: يعد الصراع أحد عناصر السرد في الرواية، وفي رواية في قلبي أنثى عبرية تتعدد ألوان الصراع، ما بين صراع سياسي، وصراع وجداني عاطفي، وصراع ديني.

الصراعات في الرواية: لقد جمعت الرواية وزاوجت بين **اختلافات فكرية وعقائدية وجغرافية**. حيث كان التنوع بين شخصيات مختلفة؛ عقدياً وفكرياً، كما يلي:

- مسلمون من لبنان، ومسيحيون من لبنان كذلك. ويهود من تونس ولبنان. ومسلمون من تونس وفرنسا. "ندى- سونيا- تانيا- ريما- أحمد- جورج- حسان ....".
- كما تتعدد الأماكن والأزمنة (حاضر وماض ومستقبل)، من قرى إلى بلدان، إلى قارات.
- وتنوعات عاطفية، بين حب وكره وغربة وانتماء.
- وبين قوة وضعف، بين حنين وقسوة، بين غيرة وتضحية.
- وبين ألم وأمل، وبين سلم وحرب، وحرية وسجن.
- وبين صراعات الأديان، وصراعات الأفكار... حتى في بيت العائلة الواحدة.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، الهرم، القاهرة، ٢٠١٣م ، ص ٢١.

الصراع السياسي: يبدو في الرواية **مشهد (الصراع السياسي)** المركز؛ فهذه الفتاة اليهودية رفضت ما حدث في "مجزرة قانا" (عناقيد الغضب) اسم رواية أمريكية شهيرة كتبها "جون شتاينبك" واسم عملية عسكرية إسرائيلية ضد لبنان عام ١٩٩٦م. وكانت أهدافها تتلخص في ضرب المقاومة اللبنانية ومحاولة القضاء عليها، فقد قصفت مدن لبنان وقراه خلالها، بما لا يقل عن عشرين ألف قذيفة، وانتهكت سماؤه بأكثر من خمسمائة غارة جوية حصيلتها خمس مجازر، آخرها وأعنفها "مجزرة قانا" «قانا لا تزال ندى تذكر تلك الحادثة التي تركت في نفسها أعمق الأثر، وهي الفتاة اليهودية ذات الستة عشر عاماً»(١).

كما أيقنت أيضاً أنها وإن كانت يهودية، فإنها لا تنتمي يوماً إلى الفكر الصهيوني. وتفهمت أن احتلال أرض الغير وقتل المدنيين العزل، هو دون شك عمل إرهابي. فندى كانت دائماً ترى أن المقاومة وشبابها يدافعون عن وطنهم ... ولا يهمهم أن يعترف بهم أحد، طالما كانت قضيتهم عادلة.

وقد سلطت الرواية الضوء على هذا اللون من الصراع السياسي بين لبنان وإسرائيل، وأثره على تلك الفئة من اليهود العرب ليسوا الصهاينة التي تنتمي إليها "ندى"، وما يؤدي إليه هذا الصراع السياسي من صراعات أخرى نفسية.

فالصراع السياسي يدفع هؤلاء الأكثر انفتاحاً وثقافةً ووعياً وإيماناً للشعور بالاغتراب داخل أوطانهم، وداخل جماعتهم، وداخل أنفسهم لإحساسهم الدائم بالمغايرة، وهذا الإحساس يقودهم إلى البحث، والتأمل، والتعمق للإجابة عما يدور في أذهانهم من إشكاليات عقائدية.

«فنجد أن دائرة (الصراع السياسي) قادت "ندى" إلى الصراع المركزي، وهو (الصراع النفسي) الذي يحتوي بداخله ما يمر به الإنسان من صراعات

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ٢١.

أخرى أصغر، فقاد ذلك "ندى" إلى البحث داخل ديانتها، للوصول إلى اليقين والسلام النفسي الداخلي، فالتزمت بتعاليم دينها»[١]. وهي تنتمي إلى عائلة محافظة تعطي وزناً كبيراً للعادات والتقاليد.

لقد مثلت "ندى" ذلك الفكر الراقي المؤمن بإنسانيته قبل أي شيء، وفي وصف تلك الفتاة ورد في الرواية ما تستحقه من صفات خلقية، وفكرية تصورها نبتة طيبة يتمنى أي شاب الارتباط بها، حتى وإن كان شاباً مسلماً يقاوم الاحتلال، ولكنهم الصهاينة. فتلك المفارقة الحكائية أبرزت طبيعة تلك الفتاة، وما تتشبث به من أفكار.

فقد ساندت أحمد وحسان بعد إصابة أحمد في إحدى العمليات الفدائية، التي تقوم بها المقاومة ضد العدوان الإسرائيلي. فاستضافته في بيتها واستعانت بأخيها "ميشال" في علاجه حتى تماثل للشفاء.

وقد استمر هذا **(الصراع السياسي)** باستمرار احتلال لبنان، وأحمد كان لا يزال في المقاومة وكانت ندى تسانده بكل ما تملك، ثم تأتي الفاجعة الثانية التي جعلت من حدة الصراع السياسي تزداد وتزداد «ولم يكن النصر ليتأخر أكثر من ذلك، ففي مساء اليوم التالي من المسيرة ... كانت علامات الاحتفال قد ظهرت في ساحات مختلف البلدان، إعلاناً عن النصر الشعبي المحقق، يتم إخلاء كل مواقع العدو مع انتصاف اليوم الرابع للتحرير»[٢].

(١) د. يسرا العدوي، الصراع في رواية في قلبي أنثى عبرية – أنواعه – حركته، المؤتمر الدولي الثامن للدراسات السردية – الجمعية المصرية للدراسات السردية ومكتبة الإسكندرية، مختبر السرديات، مارس ٢٠١٦م. ص ٥١٠.

(٢) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ١٩٩.

وقد ازداد الصراع (السياسي والعاطفي) ووصل إلى أوج قمته عندما فقدت ندى "ريما" بقذيفة من الاحتلال الإسرائيلي، وكانت "ريما" هي التي تقود "ندى" إلى الشعور بالأمان والسلام الداخلي.

ويبلغ (الصراع النفسي) ذروته في الرواية عند انهيار "ندى"، وعدم تحملها فقدان "ريما"، وهي التي تمنت إسلام من تحبهم، كما تمنت الشهادة.

وقدمت الروائية حواراً لندى وهي في المستشفى، يدور بينها وبين جورج وأحمد مما أدى إلى انهيارها، ودخولها في بكاء هستيري يقطِّع القلوب.

الصراع الديني:

ويتركز في الرواية بين **(اليهودية والإسلام)**، متمثلاً في تمسك كل طرف من الأطراف، وكل شخصية من الشخصيات داخل الرواية بديانتها، وقد جسدت الرواية ذلك الصراع، عند معظم شخصيات الرواية، وخاصة الشخصيات الرئيسة. ومنهم "**جاكوب وريما**"، و"**ندى وأحمد**"، ومن نماذج هذا اللون.

العلاقة بين "جاكوب وريما": لقد نشأت ريما بين أحضان عائلة جاكوب اليهودية، وكان جاكوب أكثرهم تعلقاً وحباً لها، كان شاباً في الثانية والعشرين من عمره حين دخلت ريما ذات السنوات الخمس حياته.

فصار يقضي جل أوقاته معها يلاعبها ويداعبها، يقرأ عليها القصص والحكايات، ويستمتع بانفعالاتها البريئة وضحكاتها العفوية. وكانت والدتها تطمئن عليها بين يديه، ويسعدها أن يمنحها حنان الأب الذي تفتقده. لذلك لم يفكر مطلقاً في حرمانها من حنانه. وكان يكتفي بالاستماع إليها وهي تحدثه عما تتعلمه من أمور دينها، دون أن يطرح سؤالاً واحداً؛ مع أن أسئلة كثيرة كانت تخامر ذهنه.

«فلم يكن يريد أن يُدخل الشك إلى نفسها بخصوص دينها»[١].

وقد عرَّفت الرواية في بدايتها بـ "**اليهود العرب**" الذين قدموا من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد وهم "يهود جربة" الجزيرة التونسية، هؤلاء الذين «أقروا انتماءهم إلى البلاد التونسية، واندمجوا بين السكان، واكتسبوا عاداتهم وطباعهم»[٢].

كما ورد في الرواية اختلافهم عن اليهود الصهاينة خلال أحداث الرواية.

وعلى ذلك فإن **(الصراع الديني)** لا يمكن فصله عن الصراع العاطفي بين "الأب والإبنة". فهذه الابنة هي التي يشعر تجاهها جاكوب بهذه العاطفة الأبوية.

فهي وحدها تشعره بحاجتها إليه، وإلى رعايتها، وهي الأقرب إلى قلبه، ومشاعره، وهي تناديه "بابا يعقوب" فكان يسعدها أن تناديه باسمه المعرب، وقد ظل يحتفظ بتلك المشاعر لها وحدها.

– كما أن الفتاة الصغيرة "ريما" كانت تعاني هي أيضاً ذلك الصراع الديني والعاطفي.

فقد تمسكت بتعاليم الإسلام في كل شيء، حتى أن "تانيا" زوجة "جاكوب" أحست بخطرها على أولادها "سارا وبسكال"، وبدأ هذا الصراع الديني في التفاقم، إلى أن انتهى بتخلي "جاكوب" عن ابنته "ريما" مضطراً، لكي لا يهدم حياته، وإرضاءً لزوجته، ومسايرة لجماعته وطائفته.

غير أن "ريما" لم تتمن شيئاً في حياتها سوى إسلام "جاكوب" حتى بعد رحيلها إلى (لبنان).

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٩.

وقد أحدث هذا **الصراع الديني والعاطفي (صراعاً نفسياً)** ظل ملازماً لـ "جاكوب" لسنوات، حتى بعد وفاة "ريما" بعد ما عانته هي أيضاً بسبب تمسكها بإسلامها؛ سواء في بيت "راشيل" أخت "جاكوب" على يد زوجها في (لبنان)، أو في بيت (سونيا) والدة (ندى) في لبنان أيضاً، حتى أسلم (جاكوب) في النهاية ليضع حداً نهائياً لصراعه.

وتموت "ريما" وهي شخصية بارزة في الرواية، فتنتهي معاناتها النفسية.

الصراع العاطفي:

«أحبك بابا يعقوب»، هكذا كانت تحب ريما والدها الذي لم ينجبها بل رباها «لنمضي معاً إلى آخر المشوار».

وهكذا نجد حباً آخر في قلب الصراع في قانة في جنوب لبنان:

«لم يكن هناك سوى ريما، هي وحدها تشعره بحاجتها إليه»[1]. وهنا نجد حباً آخر هو حب الكفيل لريما في حرب المعتقد.

حب اليهودي لابنة لم ينجبها بل هي ابنة مسلمة يحارب أبناء طائفتها بكل قوة للاختلاف العقدي

وهكذا كانت الرواية من بدايتها إلى نهايتها تدور في دوائر متعددة للحب، بحيث جمعت الكاتبة بقدرتها الخيالية بين حقائق تاريخية متمثلة في صراع مليشيا التحرير بجنوب لبنان، مع الجيش الصهيوني في المنطقة المحتلة، ومع الحب الذي يولد في ظل هذا التوتر.

فقد **أحبت ندى أحمد وهو كذلك**، رغم أن كلاً منهما ينتمي إلى طرف من أطراف الصراع القائم في تلك المنطقة.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ٢٦.

فندى اليهودية، تنتمي إلى الطرف المعتدي الظالم، الذي هو الاحتلال، الذي يقصف جنوب لبنان وفلسطين، ويحتل وطنهم، ويعتقل الأسرى في سجونه.

فكان **أحمد ينتمي إلى المقاومة** التي تحارب المعتدي، ولكن بفعل الحب لم يرى ندى يهودية بل رآها إنسانة.

وهو شيء لم يستطيع حسان أن يفعله رغم إعجابه بندى اليهودية، ولم يتقدم نحوها إلا عندما اعتنقت الإسلام.

وقد استقبل هذا الحب بكفاح عائلي من طرف عائلة أحمد:

«وافق أبي دون أن يقتنع، وأمي لم تتوقف عن البكاء»(١).

– ومن جانب عائلة ندى خاصة أمها اليهودية المتعصبة:

«لست حرة لست حرة يا ندى، أتسمعين؟ كيف تفعلين بي هذا؟»(٢).

لكن أحمد وندى حاربا الحرب التي شُنت عليهما، واستمرا في حبهما في زمن حرب عقائدية وحرب فعلية على أرض وطنهما الأم (لبنان).

كما نجد في الرواية حباً آخر في زمن الحرب الإنسانية على الاختلاف.

وهو حب ريما لجاكوب، ولكنها حاربت من قبل عائلته بسبب اختلاف معتقدها، ثم سافرت إلى لبنان لتحاربها وحج الخالة "راشيل" لا لشيء فقط لأنها مسلمة، لتعود **ونجد الحب في منزل ندى**، حيث احضنتها ندى اليهودية وبابا جورج المسيحي رغم الاختلاف، وكذلك وجدته بالالتقاء في جنوب لبنان وزواجهما، وعودة ندى إلى وطنها وإلى حبها الأول، فكان انتمائهما إلى وطن محرر، وإلى معتقد موحد "الإسلام"، وكونا انتماءً ثالثاً بعيداً عن الصراع هو أسرتهما الجديدة.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٠٨.

غير أن "ريما" لم تكن أقل منه في إحساسها بتلك المعاناة، بعدما تعرضت له من أذى في بيت "راشيل" أخت "جاكوب" على يد زوجها، ورغبته في الاعتداء عليها.

إنها لم تعد تعرف طعم النوم الهادئ، الذي كانت تنعم به في بيت جاكوب، بل صارت تستيقظ مرات عديدة في الليلة الواحدة، وهي تلهث من شدة الانفعال، بل صار يتسلل إلى أحلامها، ويفسد لياليها بالكوابيس المزعجة التي يلعب دور البطولة فيها.

وكيف لفتاة صغيرة "ريما" أن تتحمّل كل تلك المعاناة العاطفية من فقدان الأب الذي هو كل شيء، وفقدان الأمان، والألم النفسي الذي يتزايد بغياب هذا الأب لا شيء سوى الاختلاف العقائدي الديني الذي فرق بينهما، وتمسكها بدينها على صغر سنها.

وقد تصاعدت حدة (الصراع العاطفي والنفسي)، داخل ندى بعد فقدان "ريما": «ندى لم تتحمل فقدان ريما التي لم تعرفها سوى لفترة يسيرة، انهارت ولبثت طريحة الفراش»(١).

إن السارد قد عبر عن قمة الصراع النفسي بجملة (أثراً لا يمحى).

ونلاحظ أن التعبير بجملة (أثراً لا يمحى) يفيد بلوغ قمة الصراع النفسي.

وقد جسدت الشخصيات **(الصراع النفسي)** فكان هذا الصراع بين "جاكوب وريما" موجهاً محورياً لأحداث الرواية من البداية للنهاية.

وكذلك الأمثلة الأخرى في الرواية، **وقد أبرزت الرواية الصراع النفسي في العلاقة التي نشأت بين "ندى وأحمد"**.

---

(١) «... وقف إلى جانبها، واساها وبث في نفسها القوة حتى تجاوزت أزمتها وعادت إلى الحياة، لكن الأحداث تركت في نفسها أثراً لا يمحي لم يخف عنه شيء من ذلك». خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ١٧٥.

"فندي" فتاة يهودية هي بطلة من أبطال الرواية المحوريين، و"أحمد" شاب مسلم من شباب المقاومة في لبنان.

وصورة هذه الشابة اليهودية التي «تستشعر يوماً بعد يوم المزيد من الإعجاب بشباب المقاومة البواسل، تحس بإيمانهم بقضيتهم وتصميمهم على إعادة الحرية إلى أراضيهم المسلوبة. فذاك كفيل بإعلان الحرب عليها داخل العائلة، حيث لكل رؤيته المختلفة للصراع اللبناني الإسرائيلي»(١).

– وبعد عرض الأمثلة والنصوص التي برز فيها الصراع، وتجسد بألوانه المختلفة داخل الرواية. ندرك أنه قد اختلفت حدته وتنوعت وتجمعت باختلاف الأحداث، والشخصيات.

اغتراب الشخصيات: «الانتماء ظاهرة إنسانية فطرية تربط مجموعة من الناس المتقاربين زماناً ومكاناً بعلاقات تشعرهم بوحدتهم»(٢).

والتجربة قد تكون بالابتعاد عن هذا الجو، لتتشكل بذلك الرغبة بشكليها في نفس الإنسان، غربة بالابتعاد عن الأوطان وغربة الذات؛ أي الغربة عن المجتمع المحيط وهذا ما يتبدى في هذه الرواية، التي يمكن من خلالها إدراك الغربة المتضاربة في نفسيات شخوص الرواية.

حيث **تبدأ الرواية بحقيقة تاريخية** وهي انتماء اليهود إلى فضاء تونس والمغرب العربي «يهود تونس قد هربوا من المشرق بعد حرق معبدهم، قبل ألفين وخمسمائة سنة حيث استقروا بجربة»(٣).

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ٢١.

(٢) فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي – دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م، ص ١٤.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق، ص ١٢.

ثم نرى **انتماء اليهود والمسيحيين والمسلمين في جنوب لبنان إلى مكان واحد،** فالكل ينتمي إلى وطن واحد رغم اختلافهم، وتعاملهم مع بعض بطريقة متعصبة، وانتماء "ريما" إلى أسرة يهودية وهي المسلمة، وانتماء ندى إلى أمها اليهودية وأبيها المسلم، ثم زوج أمها المسيحي، وتعايشها مع ذلك بسلام داخلي.

وكذلك **البطل** "**أحمد**" كان ينتمي إلى لبنان وإلى أسرة مسلمة، وإلى المقاومة؛ فجاءت الشخصيات كلها منتمية إلى وطن واعتقاد وأسرة، ولكن كل الشخصيات تعرضت في الرواية إلى أزمة الغربة.

– **ريما** «حالتها النفسية متعبة جداً»(١).

ندى «لم أدري لم اشتقت إلى هذه الأرض»(٢).

وأحمد «وهو يحس باختناق بأنه ليس في مكانه الصحيح»(٣).

ولكن عاد الشعور بالانتماء ليظهر في الرواية، في **موت ريما** وفي «ذلك دلالة على موت الطفولة المضطهدة، ورجوعها إلى عالمها الحقيقي عالم الملائكة، وعودة ندى وأحمد»(٤).

– وقد أجاد السرد في هذه الرواية إبراز الصراع بألوانه المختلفة «فتضافرت عناصر السرد، وطرائقه، وتقنياته المختلفة لخدمة هذا الصراع، وإعلائه على مدار الخطاب السردي حيث أدرك السارد بفكره الواعي أن الإعلاء من قيمة الصراع داخل الرواية لا يمكن حدوثه بمعزل عن عناصر البنية

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، مصدر سابق ، ص

(٢) السابق، ص ٦٠٤.

(٣) السابق، ص ٦٦٢.

(٤) د. يسرا العدوي، الصراع في رواية في قلبي أنثى عبرية، مرجع سابق، ص ٣١٣.

الحكائيـة؛ فهـي التـي تسـهم بشـكل مباشـر فـي بلـورة هـذا الصـراع بـدوائره المختلفة داخل الأحداث بفعل الشخوص»[١].

ويتداخل الألم مع الزمان والمكان في هذه الرواية، فالزمان المتألم هو زمان الغزو الاستيطاني الصهيوني بامتياز؛ والمكان المألوم "فلسطين وجنوب لبنان".

– وقد برز في الرواية **ألم المكان الخطأ والزمان الخطأ**، قد وجدنا معاناته عند الطفلة الصغيرة اليتيمة "ريما"، والتي عانت غربة المكان والزمان حتى في بلدها الأصلي تونس.

فعاشت غربة المكان؛ الذي هو بيت يهودي جاكوب، والذي تختلف عاداته وتقاليده عن بيت أبيها وأمها.

وقد أدركت زوجته (تانيا) في ذلك خطراً كبيراً على ولديها (سارا وباسكال)، فأرغمت جاكوب الذي يتولى أمورها جميعاً، أن يقوم بإرسالها إلى أخته في لبنان، للتخلص منها. ويضطر جاكوب مرغماً على فعل ذلك، مع إحساسه بعذاب الضمير، وهو يتخلى عن وعده لأم ريما بكفالتها وحمايتها؛ فتدخل ريما الصغيرة في معترك ألم زمان جديد، وألم مكان جديد.

وكذلك تضطر أخت جاكوب إلى إرسالها إلى بيت صديقتها أم ندى، فتلاقي منها أيضاً ألماً آخر.

ليكون المكان اللبناني والزمان اللبناني مصيرها المحتوم، لتموت شهيدة قذيفة صهيونية.

وأحمد بطل الرواية، يغيبه الفعل الصهيوني عن حضور المكان والزمان، فاقداً ذاكرته، وحين أفاق بعد أربعة سنوات يعود باسم مستعار "جون" ودين لم يدرج عليه (المسيحية)، وشخص لا يعرف أحداً.

(١) د. يسرا العدوي، الصراع في رواية في قلبي أنثى عبرية، مرجع سابق ، ص ٥١٨.

فحين استيقظ من غيبوبته، وجد نفسه في قرية جل سكانها من المسيحيين، فعلموه دينهم واعتبروه واحداً منهم.

وعلى ذلك؛ تبدو شخصيات الرواية يتنازعها المكان والزمان، فالزمان كلٌّ من الأنا والآخر يرى أحقيته بالمكان زمانياً عبر التاريخ، وبهذا الفعل الزماني نشأ الصراع على المكان، ولا يزال الصراع على الأرض مستمراً حتى يومنا هذا.

وإن تضافر الزمان والمكان في صناعة هذه الرواية قد يجعلا الرواية تكتسب أبعاداً جمالية، بإضفاء لمسات جمالية على قداسة المكان، الذي هو انتماء وهوية.

وكأن الزمان كذلك يرسم حياة الشخوص في سيرها العادي، وفي أزمانها، وانفجاراتها. فأخذ طابع الهدوء الرومانسي، رغم ما فيه من أحداث قصف، وتحرير، وحب، وحرب، وسفر، وارتحال.

الواقعية والخيال:

لقد قدمت رواية "في قلبي أنثى عبرية" صورة حية للحياة في تلك الفترة، مبرزة عناصرها الداخلية؛ من حروب، وصراعات بين إسرائيل ولبنان، وما ولَّدته تلك العناصر من أشكال مختلفة من الروابط، والعلاقات الاجتماعية والعاطفية، والدينية. داخل المجتمع العربي في تونس ولبنان خاصة، وفي المجتمعات العربية عامة.

ولقد أوردت الكاتبة في بداية روايتها **أن الرواية لأشخاص حقيقيين**، وقد دارت أحداثها فعلياً، لكنها لا تخلو من مسحة خيال مقصودة.

– وتحفل الرواية بمزاوجة جميلة بين القصة الحقيقية والخيال.

«بحيث تتداخل المادة التاريخية بالمادة المتخيلة، لتولد حقيقة جديدة»[١].

(١) زهيدة درويش جبور، التاريخ والتجربة في الكتاب لأدونيس، دار النهار، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٩.

فكانت الأحداث في معظمها واقعية. فحقيقة تعايش الأدب في الشرق الأوسط وتونس شيء طبيعي، والتطرف الذي برز في بعض المجتمعات مؤخراً هو وليد صراعات فكرية بين أبناء الديانة الواحدة أحياناً، فما أدراك بديانات متعددة، ولكن التعايش موجود.

ولذلك فإن ما يعكسه الواقع وتعكسه الرواية، بتربية "جاكوب" اليهودي لـ "ريما" المسلمة، وتزوج المرأة اليهودية "سونيا" بزوج مسلم "سالم"، ثم رجل مسيحي "جورج"، وهو أمر بعيد كل البعد عن واقع فعلي نلمسه في الحياة الواقعية.

– **وتضفي الأحداث التاريخية واقعية على الرواية** مثل مجزرة قانا سنة ١٩٩٦، والقصف الذي شهده جنوب لبنان في فترات تاريخية معلومة، وتحرير جنوب لبنان وقربها من الأحداث الفعلية، فقد أضفت لمسة من الواقعية على الرواية.

كما ساهم الخيال في أحداث الرواية، فنحن نرى أن سفر البطلة إلى تونس كان ضرباً من الخيال وخصوصاً إقامتها في بيت جاكوب اليهودي، الذي لم يستطع إيواء الطفلة الصغيرة، ولكنه يؤوي ندى الشابة المسلمة في بيت يهودي متعصب.

وفي احتضان أم يهودية متعصبة لطفلة مسلمة ثم اتخاذها خادمة وطردها لابنتها بسبب إسلامها، ثم تسلم فجأة لتنتصر في فترة قصيرة لدينها الإسلام. ثم انتقالها إلى بيت ندى وتحولها إلى خادمة وموتها في السوق، وهي تؤدي وظيفتها.

أما **ندى** فتعددت الأحداث في حياتها الروائية، من مساعدة أحمد وحسان في ليلة تعارفهم ثم خطفها من أحمد، ثم موت ريما ودخولها المشفى، ثم سفرها إلى فرنسا بعد اختفاء أحمد.

ثم عودتها إلى لبنان، ثم تشردها بعد إعلانها الإسلام، ثم سفرها إلى جربة، ثم عودتها إلى لبنان، وخطبتها من حسان ثم عودة أحمد إليها.

لتختم أحداث حياتها طيلة سنوات بزواجها من أحمد، راسمة بذلك أطول سلسلة أحداث خلال الرواية، حيث تعد البطلة الرئيسة وسيدة الأحداث.

وأما **أحمد** فكانت أحداثه أيضاً طيلة الرواية متعددة بين التدريب مع المقاومة وتنفيذ العمليات، وزيارة ندى وتعليم ريما، ثم اختفاؤه.

ثم ظهوره في بيت راهب وقد تحول إلى مسيحي بسبب فقد ذاكرته، ثم عودته إلى أسرته، ورحلة بحثه عن ذاكرته، وتذكره سقوطه أثناء تحرير المعتقلين وعودته إلى ندى.

فكانت حركة الأحداث، والشخوص التي أحدثتها تسير في دوائر متداخلة بين الحاضر والماضي، وبين الأنا والآخر، وبين الانتماء والغربة.

النتائج

ويجدر بنا الإشارة إلى عدة نتائج قد توصل إليها البحث كالآتي:

- لقد أتى عنوان الرواية (في قلبي أنثى عبرية) موحياً بالبعد الأنثوي، والنزعة العاطفية. واحتوت الرواية على عدد كبير من الشخصيات وربما يرجع ذلك لطول الفترة الزمنية التي سارت فيها الأحداث، وكذلك لطول الرواية إذ بلغت ٧٧٤ صفحة.
- تقدم الرواية نبذة تاريخية عن اليهود في "تونس" في جزيرة "جربة"، كما تعرض تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي في لبنان.
- لقد عرضت رواية (في قلبي أنثى عبرية) أحداثاً وصراعات، وأماكن مزجت معاناة الأبطال في أماكن مختلفة بدياناتهم المتباينة.
- تعددت ألوان الصراع في الرواية: الصراع السياسي، والصراع الديني، والصراع النفسي العاطفي. وقد جمعت الرواية هذه الصراعات نتيجة للاختلافات الفكرية، والعقائدية، والجغرافية.
- وقد اختلفت حدة الصراع، وتجمعت، وتنوعت باختلاف الأحداث والشخصيات. كما تعددت هويات الشخصيات، كما تعددت أفكارها، وآفاقها وذلك تبعاً لاختلاف البلدان، وتعدد الأديان. فقد احتوت الرواية شخصيات من تونس، ومن لبنان، ومن فرنسا.
- وقد تنوع المكان في هذه الرواية بتنوع الشخوص والأحداث. وتنقلت المؤلفة خولة حمدي في الرواية بين قارتين، فكانت الأحداث تنتقل بين "جربة" التونسية وبين الجنوب اللبناني وتحديداً "قانا" و"صيدا".
- تحفل الرواية بالمزاوجة بين الأحداث الحقيقية والخيالية، وقد أعلنت الكاتبة في بداية الرواية أنها عن أشخاص حقيقيين، وقد دارت أحداثها فعلياً، لكنها لا تخلو من مسحة خيال مقصودة.

المصادر والمراجع

١- خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، دار كيان للنشر والتوزيع، الهرم، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ١٩٩٠م.

٣- حلمي محمد قاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث: دراسة تطبيقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، وزارة الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

٥- صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٦- سحر حسين شريف، دراسات نقدية في الرواية العربية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠١١م.

٧- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤م.

٨- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩م.

٩- محمد حسن عبد الله، الواقعية في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م.

١٠-يسرا صلاح الدين العدوي، الصراع في رواية في قلبي أنثى عبرية – أنواعه – حركته، المؤتمر الدولي الثامن للدراسات السردية – الجمعية المصرية للدراسات السردية ومكتبة الإسكندرية، مختبر السرديات، مارس ٢٠١٦م.

١١-يمنى العيد وآخرون، دراسات في القصة العربية، وقائع ندوة مكناس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

١٢–يوري ليتمان، مشكلة المكان الفني في جماليات المكان، ترجمة: سيزا قاسم، دار البيضاء، ط٢، ١٩٨٨م.

المقالات والمجلات العلمية:

١٣–تامر محمد عبد العزيز، تناص التيمة في روايتي في قلبي أنثى عبرية والجاحد، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٨م.

١٤–خولة حمدي، فضاءات جمالية في رواية في قلبي أنثى عبرية للروائية التونسية خولة حمدي، مجلة الحكمدار للدراسات الأدبية واللغوية، بن حيزبة سعاد، جامعة الجزائر، ٢٠١٧م.

١٥–سمر روحي الفيصل، بناء المكان الروائي: الرواية السورية نموذجاً، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، العدد ٦٠٣، تشرين الأول، ١٩٩٦م.

١٦–نجوى عطا الله الحوامدة، المكان الروائي ودلالته الجمالية في رواية "في قلبي أنثى عبرية" للروائية خولة حمدي، مجلة الأندلس، مج٣، ع١٢، ٢٠١٨م.

١٧–يمنى العيد، مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي، مجلة الطريق، العدد٤، شهر أبريل، ١٩٧٥م.